دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أنساق الأمن القومي ، شعر الفوديين نموذجا
المصدر:	دراسات إفريقية
الناشر:	جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية
المؤلف الرئيسي:	يهوذ، أمين
مؤلفين آخرين:	ماشي، مرضية عباس(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع52
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	ديسمبر / ربيع أول
الصفحات:	101 - 116
رقم MD:	701496
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الأمن القومي ، الشعراء النيجيريون ، الشعر العربي، نقد الشعر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/701496

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أنساق الأمن القومي، شعر الفوديين نموذجا

* أمـين يهـوذ

د. مرضية عباس ماشى **

مستخلص:

كثر الخلط حيث اختلط الحابل بالنابل في أوضاعنا المعاصرة في حذق أدبيات الأمن الإسلامية، حيث يفهم النصوص مبتورة عن نسقها الكلي، فاستغل التطرف هذا السلوك باستنطاق النصوص بل أصبحت آلة مطواعة لأهواء المتطرفين، كأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. هذه المقالة تسعى جاهدة لوضع معالم فهم النصوص عامة ونصوص الأمن والأمان خاصة على ضوء النظرية الأنساقية السياقية التي لا تعزل النص عن سياقاته المتعددة الأطراف الجامعة بين التركيبية والدلالية، مستجلبة نماذج حية من النص الشعري للدولة الفودية لأسباب منها: أن أصحابها أقاموا دولة إسلامية فتية، فقد عاشت تجربة ثنائية الأمن والحرب، بل تمثل دور الصوفية في إرساء الأمن الوطني، وإلى الآن تعتبر القدوة المثلى في إرساء الحكم الإسلامي بمنطقة نيجيريا الجديدة.

مقدمة: التعريف بالدولة الفودية:

تعتبر الدولة الفودية أقوى دولة قامت بين حدود النيجر الجنوبية وشمال نيجيريا الحاليتين، على أساس استرجاع التعاليم الإسلامية الصحيحة، وتجديد معالمها

* مدرس بثانوية العلوم للبنات، محلية، سوبا، ولاية كدون

** محاضرة بمعهد التربية، جامعة أحمد بللو، زاريا

التي كادت أن تضمحل بين التقاليد الموروثة والوثنيات المجاورة لحدود المجتمع المسلم، وبين إرادات الملوك المبطشين الذين أثقلوا كواهل الشعب بالضرائب الباهظة والظلم المتناهي، تأسست هذه الدولة في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، عام١٨٠٤ م،تحت قيادة المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي من أصول فولانية منحدرة من فوتا جالوا، اكتسحت أكثر من خمس عشرة ولاية نيجيرية شمالية لحد بوابة الجنوب الغربي ما عدا مناطق النيجر.

انتظمت هذه الدولة بأشد ما تكون الدولة فتية شامخة، تستند إلى مقومات مما يفتح أمامها تقدماً باهراً في كافة المجالات الإنسانية والثقافية والسياسية والاقتصادية، هذا جعل المستعمر البريطاني الغاشم يعمل لنفسه ألف حساب قبل أن يحتل أراضيها في مستهل القرن العشرين عام ١٩٠٤م، وذهب ببهائها وبنى على أنقاضه نيجيريا الجديدة التي تشمل ثلاث مناطق بها أعراق وأديان متنافرة.(١)

عن مفهوم نظرية الأنساق:

لقد ذهب النقاد مذاهب شتى في تحديد مفهوم الأنساق ومجالاته وخصائصه، وأقرب مفهوم الأنساق إلى مجال البحث النقدي هو" النظام الذي يجعل أبنية النص الأدبي متناسقة حيث تظهر من خلالها الأبنية الفرعية"[i] وبإضافة نظرية رؤية العالم لجولدمان تتكامل النظرية بحيث يكون"العمل الأدبي تعبيراً عن رؤية العالم وطريقة خاصة في صياغة عالم ملموس متعين من الكائنات والأشياء، فإن الأديب هو الذي يصل إلى إدراك هذه الرؤية في الوقت الذي يخلق فيه شكلاً ملائماً"[ii] كان لهذه النظرية دور كبير في إعادة قراءة التراث بوعي تام بحيث يسهل الوصول إلى أعماقه، وإجلائه بإيجابياته وسلبياته.

أنساق الأمن القومي في شعر الفوديين :

وبما أن هذه المقالة تصبو لمتابعة خيوط أنساق الأمن القومي، انطلاقاً من الشعر الفودي مروراً بمؤثراته الفرعية وصولاً إلى رؤية العالم من خلال النص فإنها تتركز على أهم مقومات الدولة، من منظور قراءة ثانية وهي[٢] ذات علاقة بأنساق المقروء في عصور التراث أو أنساق القارئ في العصر الحديث وصلتها بالأنساق المعرفية للقارئ والمقروء صلة البعضية والسببية في آن"[٣] وهذه القراءة تسعى لإجلاء صورتنا الراهنة أمام المرايا المقعرة مصداقاً لقول حافظ إبراهيم حين يقول:

لعل في أمة الإسلام ثابتة * تجلو لحاضرها مرآة ماضيها[٤]

ولوضع النقط على الحروف تتركز هذه المقالة على الأطر التالية:

- النسق الأمني للحياة الروحية
- النسق الأمني للحياة العلمية والثقافية
- النسق الأمني للحياة السياسية والاقتصادية
- النسق الأمني لجدلية السلم والحرب

النسق الأمني للحياة الروحية:

لا يختلف اثنان – صاحبا إنصاف– على أن الدولة الفودية دولة إسلامية، على الرغم من الدعاوي التي تجردها عن هذه المواصفات من أجل بعض الممارسات كانت محل خلاف لدى العلماء، لابد لمثل هذه الدولة أن تجعل الحياة الروحية الصحيحة حجز الزاوية، استناداً إلى قول الصادق الأمين" ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[٥] وبتوفر الشق الأول من هذا الحديث يصبح كيان الأمة جسماً واحداً .

لقد حقق قادة الدولة الفودية هذا النموذج بحيث تنتسب إلى واحدة من أكبر مدارس تزكية النفس، وهى الطريقة القادرية، التي انتشرت في المنطقة بمجهود الشيخ

المغيلي في القرن الخامس عشر الميلادي[٦] لقد نطقت القصيدة المعربة من اللغة الفلانية بهذه الحقيقة، يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

يا رب عالم باطن كالظاهـــــر ** أجب الذي يدعو بعبد القـــادر
بركات أحمد في بـــــلاد الله قد ** عمت وجمت عند عبد القـــادر
يا رب يـا متفضلاً لعبـــــــاده ** صلني بفضلك عند عبد القادر
إن المسيئ لدى الأكابـــــر يلتجي ** فلجأت عند الشيخ عبد القادر
إن كنت لم أحسن فشيخي محسن ** إنـــي لمنتسب لعبد القـــــادر
ما كنت أهلا أن أجاب أجب لكون ** وسيلتى درجـــات عبد القـــادر
إيماننا مع سنة في طاعـــــــة ** زدنـــي بها بالشيخ عبد القـــادر
والكفر مع بدع ومعصية عنـــي ** بعّد بكثرة جـــاه عبد القـــادر[٧]

تحمل هذه الأبيات صورة نابضة بالحياة الروحية العارمة من جانب كما تجسد انتساب قادة هذه الدولة إليها من جانب آخر، كما أن قناة هذا الخطاب تتبلور من البنية السطحية للكلمات، ليجذب المتلقي للبنية العميقة تتمثل في محور التوسلات التي نسجتها العاطفة الروحية التي تجسد منعطفات الإيمان بالله والثقة به، ورسم التجربة النفسية للشاعر، بجانب التفاعل مع المجتمع الجانبي.

" ولقد عبر المتصوفة باللغة، والتي يعاد بفضلها إنتاج أو تمثيل أو نمذجة الواقع والحدث أيّاً كان مصدره، وتوسّعوا في أشكال التعبير التي سمحت بها اللغة، وشكّلوا نسقاً خطابياً مختلف المكونات والظواهر النصيّة، من شعر وقصص وأدعية ومناجيات وحكم وأخبار تنتظمها مجموعة من القوانين التي تحكم العلاقات والتفاعلات فيما بينها، قصد بلوغ هدف معين، هو التعبير عن تجربتهم في الاتصال بالله، وهي تجربة معرفية عاطفية، كما أنها تجربة في الكتابة والإبداع."[٨]

وقصائدهم في هذا القبيل قلما تحصى عددا لضخامتها أكثر من أي فنون أخرى، ومن الغريب أن الذين امتلكوا البلاد والعباد وأذعنت لهم الآفاق، وأقبلت عليهم حياة الترف دون أن يلقوا لها بالاً، لم تتشبث قلوبهم بها فيحيدوا عن الجادة، يقول أمير تمبول محمد البخاري بن الشيخ عثمان ليعكس هذه الحقيقة في واقعهم الاجتماعي:

جدير لمن ولت شبيبته الحجـى ** وقبل هجوم الموت أن يتأهبا
بتحسين نيـات وتعجيل توبـــة ** وتكثير طاعات ونغس لمن كبا
وأمر بعرف بائتمـار بـأمـــره ** فويل لمن أقواله الفعل كذبا
ونهي عن النكراء من بعد تركها ** فطوبى لمن عن نهيه قد تجنبا
وقصد علو الدين عند جهـــاده ** وتسوية الأسهام إن غـــزوه نبا
وتخلية الحوباء عن كل وصمـة ** بإيساعها زجرا وسبـا ومتعبـا
كذاك تحليها بأكمل خصلـــة ** بتأميلها عند الإلـــه تقربـــا
وجاهد بسلطان الرياضة جندهـا ** بإحكام تدبير وحـــزم تقلبـا
فضربا بأسياف الصلاة رقابهـــا ** وأقدامهـا حتى تتـل و تشجبا
وطعنا برمح الصوم قبل ضلوعها ** وأبهرهـا والرجـب حتى تدربـا
ورميا بسهم السهد وسط فؤادهـا **وأجهز بنفط الصمت إن غزوه نبا
بربـــك عذ واستنجدن بذكـــره ** لتأمـــن من كراتهـــا مترقبـــا[٩]

إن الشاعر كان شديد الوعي بالحركية الروحية عند المتصوفة، حيث وظف جدلية تتمحور حولها حقيقة التوكل على الله، بين تغييب التدبير وتحضيره في منعطفات حياة الصوفي مما جعل هذا المحور غائباً في أذهان كثير من المسلمين حتى جر بعضهم إلى اتهام الصوفية بإهمالهم جانب التدبير مما غيّب دورهم في الحياة العامة كما يقولون ، تأمل البيت التالي:

وجاهد بسلطان الرياضة جندها * بإحكام تدبير وحزم تقلبا[١٠]

ومن أعجب سياقه الشعري، استحضاره حقيقة مفهوم الرياضة عند الصوفية، وهو قتل النفس وذبحها بحيث تتخلص من عنادها وتطيع ربها طواعية، تأمل قوله: اضرب رقاب نفسك بسيف الصلاة، وت

واطعنها برمح الصوم، وترميها بسهم السهد لتنقاد صوب ربها، وهذا النص يستحضر الأنساق السلوكية التي تمارسها هذه القيادات حيث مكنّهم ذلك أن تنقاد لهم العامة طواعية.

هذا النسق قلما يتدلى شكلياً إلا من خلال ممارسات وأعمال، وسيتشخّص ذلك في الأنساق التالية، وما أدل على رسوخ هذه الحقيقة في قلوب هؤلاء القادة أكثر مما حدث بين الشيخ عثمان والأمير باوا، حيث قدم له الأمير هدية باهظة الثمن فرفض أن يأخذها ليطلب من الأمير ثلاثة أشياء:

- أن يخلي الطريق للدعاة إلى الإسلام بمنطقة غوبر
- أن يتمتع أي مسلم بحق المواطنة في المنطقة
- أن الضرائب باهظة على الفقراء والمساكين، الرجاء تقليصها[١١]

هذه الحادثة تؤكد رسوخ الحياة الروحية في قلب الشيخ عثمان، ولولا ذلك لما تجرأ الشيخ على مطالبة الأمير بهذا الأشياء التي لا تعود له بمصلحة نفسية غير الغيرة على الإسلام والدعوة إليه، هذا النسق بطبيعة الحال يشكل حظيرة روحية فريدة وما أحوجنا إليه، وخاصة في ظل طغيان المادية النكراء التي تأتي على كل نفس – إلا من رحم الله – فترديها صريعة.

ولإيجاد هذا النسق في مجتمع يحتاج إلى متابعة السالفين للوقوف على سعيهم صوبه، ومناظرنا أمام هذه المرايا تكاد تضمحل لبعدنا عن الأنساق التي تربطنا بالماضي الصالح والتشبث بهوى النفس، سبحان الله!

- **النسق الأمني للحياة العلمية والثقافية:**

ولما كان هدف مؤسس هذه الدولة – قبل أن يستقر تأسيسها في ضميره– توعية الشعب للرجوع إلى الدين الصحيح واتخاذ العلم سُلّما للوصول إلى شرف الحرية الفكرية وحقوق المواطنة الآمنة، التي سلبها السلاطين والأمراء غصباً عن الشعب المسكين، فهذه غايات نبيلة يسعى العلم وثقافته إليها.

لقد كان قادة هذه الدولة نموذجاً حياً يقتدى به، إذ نشأ الشيخ عثمان مولعاً بطلب العلم والدعوة إليه، و كذلك انخرط أتباعه في هذا السلك النبيل، وقد بلغ بهم حرصهم الشديد على أن يترقبوا قدوم الوفد العربي أو وفد الحجاج من أهل المنطقة لينهلوا من غدرانهم الدفاقة، وهذا الشيخ عثمان يعتز بانتمائه إلى الشيخ جبريل الذي زار الحرمين مرتين وأقام فيهما مختلفاً لحلقات أفذاذ العلماء الأجلاء:

إن قيل فيّ بحسن الظن ما قيل * فموجة أنا من أمواج جبريلا[١٢]

وبما أن الشيخ جبريل يتبوأ موقعاً متميزاً في هذه الحركة ومن نافلة القول أن يسرد دوره الطليعي في تطوير مناهج التدريس لتواكب وضعية العالم الإسلامي آن ذاك، فقد رجع من الحرمين حاملاً ثقافات العالم الإسلامي وبثها بين حلقاته العلمية ولعل الشيخ عثمان من الطلاب الذين حذقوا كل هذا حتى قام مصلحاً وداعياً، ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحاً مرثية الشيخ عبد الله للشيخ محمد سمبو حين وافته المنية بأقدس وهم على أحر من الجمر في انتظاره لينهلوا من علمه"ومع تضلعه في العلم فقد قضى أكثر من عشر سنوات في الحرمين لما حج ودرس هناك، ثم عزم على العودة إلى وطنه ولكن وافاه الأجل وهو في أقدس"[١٣] وفي منعطف آخر نجد الشيخ عبد الله يرسل بقصيدة إلى الشيخ المختار المغربي منها هذه الأبيات:

بلغ شرفُ شريفَ أصل كاسمه ** عني لشيخ كاسمه المختار

أزكى سلام شيب مسكا نمـــــه ** ريح النسيم تهب في الأسحار

أخباره فى علمــه وصلاحـــه ** سارت به الركبان في الأمصار
بل في القرى بل في البراري كلها ** بل في البحار الكل والأنهـــار

ومجمل القول أن الدولة الفودية ليست دولة محلية الثقافة والعلم بل إنها دولة تشكلت من خيوط ثقافات موجودة في العالم الإسلامي آنذاك، ولعل توفر هذه الأنساق الثقافية ساهم في تشكيل أبنية الدولة برمتها في مجالات مختلفة، ومن الجدير بالذكر هو أن هذه الدولة تبنّت أحسن نموذج في العلم والدعوة بعيداً عن التطرف والتشدد ليستوعبوا بهذا الشعب كله. والاعتماد على ما اتفق عليه سلف الأمة الإسلامية، ولعل هذه الإطالة تأتي لتنوه وتندد بواقع المسلمين اليوم في نيجيريا حيث تكاثرت أصوات الدعاة إلى التطرف مما أثر سلباً في الحياة الراهنة.

والعلم الراسخ المستوعب الأنساق المعرفية الموجودة في العالم الإسلامي هو الذي يجب أن يعكس في النظم العلمية والتعليمية على حد سواء، ويؤثر إيجاباً في أنساق أبنية الدولة، ومن ذلك جلب الكتب العلمية النادرة للمنطقة حيث تصدى القادة العلماء لتلخيصها وتقديمها للقارئ العادي، وتجلت إثر هذه الثورة صور تطور ثقافة التأليف والنظم الشعرية العلمية، وتصاعدت كثافة طالبي العلم، بتوفير طرقه، وأنشئت مدراس من طراز متميز في المساجد ودهاليز العلماء في المدن والقرى.

والشيخ عبد الله يشيد بهذه النهضة العلمية العارمة التى بعثت إثر جهادهم، إذ يقول في قصيدته الجيمية:

ومدارس أضنى بحب شهودها ** فيها نجـاح حوائج المتوهــج
وجحاجح العلماء يجلب رفدهم ** كل كبحر في العطاء مثموج (١٤)

وهما أصدق حركة تجلت مها ثلاثة أنساق كلها تنتمي إلى أبنية الثقافة العلمية المتميزة وهي: تركيبة المدارس نفسها التي عبر عنها بصيغة النكرة للدلالة على الكثرة والانتشار، وولوع المتلفين لها طلاباً، ورسوخ وتمكن علمائها في المعرفة

وأدائها لطالبيها. ولعل حماس قادة الدولة في توفير العلم وثقافته أعطى المرأة مكانة رفيعة في العلم، حتى اتُهم الشيخ عثمان بخلط الرجال والنساء في مجالس وعظه وهذه النموذجية قد أثمرت وأينعت حيث ظهرت كثير من النساء لهن مسار متميز في الحياة العلمية وثقافتها، ولا ينُسى دور السيدة أسماء ومدرستها المتميزة، بل اشتركن بقرائحن فى شعر الجهاد كما يأتي الحديث.

هذا مما شجع قادة الدولة بألا ينصبوا أحداً منصب الإمارة والوزاة إلا من كان عالما نحريرا يحتج بعلمه، كما شجع ذلك الطلاب أنفسهم للمُضّي قدما صوب العلم دون ملل للحصول على مناصب رفيعة.

لا شك أن هذه الصورة ساهمت مباشرة في انخراط الشعب في سلك الحياة العلمية فأصبحوا بهذا يعرفون حقوقهم وحقوق المواطنة مما وفر لهم الأمن والأمان في المنطقة، حيث أصبحت العربية لغة رسمية، تدون بها الدولة سجلاتها، بل كان التأليف بها؛ بهذا يقال بأن هذا النسق حقق طفرة فريدة في نوعها، فاستقامت الأبنية الدولية على أحسن ما يرام.

- **النسق الأمني للحياة السياسية والاقتصادية**

كانت إمارات شمال نيجيريا قبل ظهور الشيخ عثمان لا تجمعها وحدة سياسية، وكل إمارة يحكمها أمير مستقل يتحالف بمن يشاء مع من الإمارات، ويحارب من يشاء، وهذه الأنساق المفككة أثرت سلباً في زرع القلاقل وعدم الاستقرار في المنطقة بأسرها مما جعل الشعب المسكين يروح ويغدو ضحية هذه القلاقل بل أصبح تتناوشه ويلات الحروب من جانب، وظلم أمرائه من جانب آخر، وهذه التصرفات القاسية غرست في نفوس الرعية كراهية الأمراء والحكام مما ساعد على إقبالهم على دعوة الشيخ عثمان حينما قامت، ودافعوا عنها دماً ولحماً حتى نجحت"[١٥]

ولعل هذه الأنساق السالبة وتداعياتها على المنطقة فرضت الإقبال طواعية على الشيخ عثمان بن فودي، لكن بطبيعة الحال النوايا تختلف والله هو الذي يتولى السرائر، بهذا لا يحكم على الدولة بأنها ذات نزعة عصبية قبلية بحكم تضافر الفلانيين فيها، وسيطرتهم على مقاليد الحكم أكثر من أي قبيلة أخرى، ما دام أن قادتها يؤكدون بأن صبغتها صبغة إسلامية كما يقول الشيخ عبد الله في القصيدة التالية:

طربت فأشجاني الطيور الكوالح ** وفرحني منها الغيوث الروائـح
وخـوفنـــي أيضا ذباب بـــوارح ** وأمنني منها الظباء السوانـــح
لقول الـنبي لا تزال جماعـــة ** على الحق منا أو يجئ المقارح
ألا أبلـغن عنى لحي رسالـــة ** تعيها رجال أو نســاء صوالح
لعالمهم أو طالب العلم رائـــم ** لإظهـار دين الله فيـــه يناصح
أقول له قم وادع للدين دعوة * تجبها عوام أو خواص جحاجح[١٦]

هذه الأبيات ترسم حدود سياسية هذه الدولة من خلال استحضار مقومات الدين، بأن جماعتها جماعة صلاح وإصلاح ورشد ودعوة وعلم في مقابل جحافل الكفر والفجور والجهل، وأن هذه الخاصية لا تقتصر على القبيلة الفلانية فقط، بل هناك كثير من القبائل شاركت في رفع قوائم هذه الدولة بسيوفهم وعلومهم وصلاحهم، كما وقف بعض الفلانيين مع معارضي المجاهدين، إلا أن لغة الشعر للدولة ما استطاعت أن تستوعب هذه الأبنية لطبيعة حياة الشعر آنذاك بجانب مشاركة اللغات المحلية للغة العربية.

وما يدل على إخلاص مؤسس هذه الدولة أنه لما استقرت أمور الدولة قسمها الشيخ قسمين" وانقطع هو للعبادة والتأليف مسلماً قيادة الدولة... وقسم الدولة الغربي

لأخيه عبد الله... وأما القسم الشرقي فسلمه تحت زعامة وسيطرة ابنه محمد بللو"[١٧] يقول عبد الله معبراً عن هذه الحقيقة:

وإنا في بــلاد ليس فيهـــا ** سوى حكم الإله على العباد
أميــر المؤمنين لنـــا أمير ** فصــرنا كلنا أهـــل الجهاد
نجاهد في سبيل الله دوماً ** فنقتل أهل كفـــر والعنـــاد[١٨]

بهذا تحققت سيادة الفوديين حيث أعادوا مجد الإسلام وسيادته في القلوب، ومن الناحية الاقتصادية فقد جلب لهم انتصاراتهم غنائم الأموال والعبيد والجواري لتظل الدولة في رخاء يقول الشيخ عبد الله في هذا النسق:

قتلناهم وحزنا كل مال ** لهم تركوه منثوراً بواد[١٩]

وهذا البيت جاء بعد وصف العدو بمعداته، وما يحمل من كنوز وطعام، لكنه ولى هارباً تاركاً وراءه هذه الأشياء للمجاهدين لتكون غنيمة لهم.وبما أن الدولة تعتمد على المحاصيل الزراعية نجد الشيخ محمد بللو يتعرض لطلب الغيث من الله ليكشف لهم ما ضاق عنهم حين يقول:

وأتمم لنا نوراً أرادوا خموده ** ولوكره الـكفـــار من ذلك النـــور
واسق بلاداً كان فيها مقامنا ** ومن بركات الأرض أخرج على الفور
أغثنا أغثنا أنت مـالك أمرنا ** وعجل بيســر لا يعقب بالعســر[٢٠]

فالزراعة هنا تشكل نسقاً تجارياً بين الأبنية الاقتصادية الفاعلة في الدولة التي بها استقرارها، والأبنية الاقتصادية تعانق الأبنية السياسية وكأنهما التوأمان، وهما يدوران حول الصراع والنزاع ومن خلالهما تضمن الدولة بقاءها أو انهيارها، ولعل هذا السبب هو الذي جعل شعراء الدولة يطنبون في الحديث عن الحرب وانتصاراتهم، هذا ما جعل الدولة الفودية تحتل مساحات شاسعة في شمال نيجيريا، بل أخذت تتساقط دولة تلو أخرى.

- **النسق الأمني لجدلية السلم والحرب**

بالرجوع إلى مقومات دعوة الشيخ عثمان نجد قاموس الحرب بعيداً عن مسارها الطبيعي، حيث توغلت دعوته فى المدن والقرى، وأفنى لها جزءاً كبيراً من حياته وأسفاره، بل مكث في زمفرا داعياً ما يناهز خمس سنين مع أخيه عبد الله، وسار يتابع الأسفار ويكابد مشقاتها إنه أقام في (بزغو) و (زوم) و(كب) حتى وصل بوابة جنوب نيجيريا (إلوري) فى ذلك الحين، دون أن يرفع السلاح على أي إنسان.

بدأ يتصل بأمراء المنطقة ويدعوهم إلى إقامة العدل بين رعاياهم، فسانده أمير غوبر باوا، فجاء ابنه نافاتا يعكر درب والده وبعده أخوه ينفي الذي تحول إلى أعدى أعداء الشيخ عثمان وجماعته، وحاول اغتياله، ووضع حدوداً لدعوته، ولما علم الشيخ بنواياه، أخذ يأمر أتباعه بإعداد الأسلحة للدفاع عن دينهم وعرضهم ووطنهم.

فاضطر الشيخ لخوض الحروب مع الكفرة والفجرة من الحكام والأمراء " هيأت هذه الحروب ميداناً فسيحاً للشعراء، إذ أثارت شاعريتهم وهيجت خيالهم، وحركت شعورهم وبعثتهم على الكلام"(٢١)

وهذه الأنساق المتضافرة من جدلية السلم والحرب هي التي شكلت مقاطعات الأبنية المتعددة لهذه الدولة منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على حد سواء حينما شكلت الأنساق الروحية والعلمية الثقافية جميع الأبنية العامة والخاصة، يقول الشيخ عبد الله

بدأت ببسم الله والـشكـــــر يتبــع	**	على قمع كفار علينا تجمعوا
ليستأصل الإسلام والمسلمين من	**	بلادهم، والله فى الفضل أوسع
توارك معْ غوبر وينف سفيههــم	**	يخـزيهم والله يرى ويسمع
ولما أتوا قُنقُنغي ما فيه أفســدوا	**	بحرق وتحريب وأسرى تقطع

فجاسوا علينا فى بجوى فقتلــوا ** جموعاً من الأعراب والمال يجمع
فزادهـم كفـــــراً وزادوا تكبـــراً ** عليهم جلال والقوانس ترفع[٢٢]

استطاع الشيخ عبد الله أن ينقل لنا الأوضاع الحربية وما أثارتها في هذه القصيدة حيث ذكر أنها معركة فاصلة بين الإسلام والكفر، وبين العدل والظلم، وبين الدفاع عن الوطن وتخريبه، والدفاع عن الشرف وهتكه، وهكذا تتعاقد الجدليات الحادة داخل بوتقة من الأنساق المتداخلة لتشكل أخيراً الأبنية الحربية بجانب الأبنية السلمية التي ساهمت في خاتمة المطاف في إخضاع المنطقة واصطباغها بالصبغة الروحية الدينية الاجتماعية الثقافية في انصهار الشعب بعضه مع بعض، فتوطد الإسلام وتعاليمه في ظل الفقه الواسع بعيداً عن الإرهاب بعيداً عن الغلو والتطرف حتى في إصلاح الأمور التي أخذت تتغير وتتردى في بعض الإمارات، كان للقادة فقه واضح للتعامل معه. تأمل ما يقوله محمد سمبو:

وبترك كل مخالف للسنة الــغراء متع طريق البدعـــة
والترك للعلماء والأمراء والـزهاد إن خانوا بحب رياسة
لو كنت في هذا الأوان مؤمراً، لأمرت حقاً هؤلاء بتوبة
من لم يتب منهم عزلناه سريــعا وهـو مبدل نعمـــة[٢٣]

هذه الأبيات تتلخص ، حقيقة صارمة تنتهجها قادة هذه الدولة لإصلاح أمرائهم إنه نهج يقطع شعفة الجور بالحنكة والتدبير لا بالعنف والشدة، ومن أعظم ما قال الشاعر هو لو كان مؤمراً لعرض على القادة الظالمين الدعوة إلى التوبة، بعد ذلك يحكم الله أمره، هذا الشكل يعكس طبيعة البنية الفكرية الإصلاحية التي تبنى ولا تهدم، تقوّم ولا تكسّر.

الخاتمة:

هذه المقالة حاولت أن تعكس أنساق الأمن القومي في شعر الفوديين، حيث أصبحوا محل الثقة للشعوب التي وقفت تساندهم حتى تم لهم تأسيس دولة فتية فريدة من نوعها دون أن تفسح المجال أمام إرهاب الآخرين وتخويفهم وزرع الفتن في نفوس المواطنين، لأن الإسلام ليس ديناً يسعى ضد استقرار الشعب وزرع الفتن كما يفعل بعض من ينتسب إليه بعيداً عن فقه الدين الصحيح، وذلك لغياب الحياة الروحية والعلمية الثقافية، بهدف الخروج عن مأزق اقتصادي لبناء دولة تسودها سياسة ناجحة تسعى لاستقرار الشعب ورفاهيته.

هذا وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أننا بحاجة إلى تقويم أدائنا الروحي أمام ما يحدث في هذه الدولة، والطمع والجشع هما أقوى سبب لفشل المواطن المسلم في تأدية أمانة الدولة.
- تقاعسنا عن العلم وتخصصاته التي يحتاج إليها الشعب، واستغنائنا بأنفسنا دون أن نضع خطة محكمة لتطوير أدائنا العلمي
- أن الذي يود قيادة الشعب مطالب بتوفير سبل حياة رغيدة دون أن يلجأ للتسول والارتزاق منه.
- إننا بحاجة إلى مراجعة إنسان خطابنا المعاصر لإعطاء النسق الوسطي المتوارث الذي يعطي الصورة الحقيقية للإسلام.
- يحتاج الأمن القومي في البلدان الإسلامية أن يقوم على ركائز العلم والفكر لتخليص الأمة من أشكال التطرف والمغالاة التي تغلغل أمنها.
- أننا بحاجة إلى إعادة قراءة تراثنا الشعري وغيره، للتعرف على الماضي والأخذ بإيجابه والاتعاظ بسلبياته، وأن ننبذ التطرف والتشدد لنكسب لمنطقتنا أصدقاء قبل الأعداء. بهذا يتوفر الأمن والأمان في الوطن ويظل الشعب في رخاء وسلام.

ثبت المصادر والمراجع:

(١) انظر: شيخو، أحمد سعيد غلادنثى، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا،ط٢،١٩٩٣

(٢) إيان كريب، النظرية الاجتماعية، ترجمة د، محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، عدد ٢٤٤،عام ١٩٩٩م، ص: ٦٧ وما بعدها
بتصرف شديد

(٣) جابر،د، عصفور، نظرية معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨م، ص:١٦٢

(٤) _____ قراة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٦م ص: ٨٦

(٥) ديوان حافظ إباهيم، ص: ٨٣

(٦) رواه البخاري ومسلم

(٧) انظر ما روه مسلم

(٨) انظر: مدخل إلى الأدب العربي النيجيري، في القرن التاسع عشر الميلادي، كبير آدم تدن نفاوا، دار الأمة، ط، ٢ ، ص:٥٧

(٩) الشيخ عبد الله بن فودي، تزيين الورقات، د، م، ن، ص:٥٣

(١٠) آمتة بلعلى، الحركة التواصلية في الخطاب الصوفى(من الثالث إلى القرن السابع الهجريين) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص:٢١

(١١) غرب، طن ظوهو، زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، ط،١، ٢٠٠٢، ٢٧٨ وما بعدها

(١٢) المرجع نفسه : ٢٧٨ وما بعدها

(١٣) انظر: Shehu Usman Dan Fodiyo, Kola akinlade، ص:٢١ ما بعدها

(١٤) الشيخ محمد بللو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص:٢٨

(١٥) شيخو، أحمد سعيد غلادنثى، حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا، المرجع السابق:ص:٦٣

(١٦) الشيخ عبد الله، المرجع السابق: ص: ٢٢

(١٧) كبير، آدم تدن نفاوا، المدخل إلى الأدب العربي النيجيري المرجع السابق، ص:٨٠ وما بعدها

(١٨) الشيخ عبد الله ، المرجع السابق،ص:٣٨ وما بعدها

(١٩) طن ظوهو، المرجع السابق، ص: ٣٢

(٢٠) الشيخ عبد الله، المرجع السابق: ص: ٦٤

(٢١) محمد الثاني، باوا (الدكتور) شعر الجهاد فى الشعر العربي النيجيري، ٢٠٠٦د، م، ن، ص:٤٩

(٢٢) الشيخ عبدالله، المرجع نفسه، ص:٥٩ وما بعدها

(٢٣) مجلة FAIS ،جامعة بايرو، كنو، مقالة الدكتور محمد الثاني، باواً ص: ٣٠٤